موقعة العقاب وبداية النهاية للحكم الإسلامي بالأندلس (٦٠٩هـ/١٢١٢م)

علوه رفاعي عبدالوهاب سليمان
باحثة ماجستير - قسم التاريخ – كلية البنات – جامعة عين شمس - مصر
olaamr 115@yahoo.com

ا.د/ أحمد ابراهيم الشعراوي
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية البنات – جامعة عين شمس – مصر

ا.د/ عفيفي محمود ابراهيم
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الآداب - جامعة بنها – مصر
afefy.m@fart.bu.edu.eg

المستخلص :

شكلت موقعة العقاب التاريخية سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م تراجعًا كبيرًا لسلطة المسلمين في الأندلس، لكن الذي يدهش أي متابعٍ للتاريخ أن هذه الموقعة تفصلها عن موقعة الأرك سبعة عشر عامًا والتي انتصر فيها الموحدين انتصارًا كبيرًا، مما دفعنا هذا إلي التساؤل حول هذا التغير الكبير بين القوة الأيبيرية والقوة الموحدية في فترةٍ وجيزةٍ والتي كان له التأثير البالغ في انتصار الأيبيريين علي الموحدين وتتابع سقوط الولايات الإسلامية الأندلسية بأيديهم. هذا التغير الكبير في القوة الأيبيرية النصرانية يتمثل في استغلال الملك النصراني الفونسو الثامن ملك قشتالة الهدنة التي عقدها مع الملك الناصر الموحدى وانشغال الناصر في محاربة بنى غانيه للقيام بعدة أمور منها :- إزالة الشقاق بين الممالك النصرانية الإسبانية (نافارا- أراغون)والتي كانت سبب هزيمتهم في موقعة الأرك ،طلبه المساعدة من بابا روما والتي على إثرها أخذت الجموع الصليبية تنهال علي إسبانيا انهيال الجراد المنتشر من كل مكان ؛ لتصبح حرب صليبية مثل الحروب الصليبية في مصر والشام

الكلمات الدالة:

الأندلس– موقعة العقاب –ألفونسو الثامن – الناصر الموحدي

مقدمة

شكلت موقعة العقاب التاريخية سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م تراجعًا كبيرًا لسلطة المسلمين في الأندلس، لكن الذي يدهش أي متابعٍ للتاريخ أن هذه الموقعة تفصلها عن موقعة الأرك٥٩١هـ/١١٩٤م [١] سبعة عشر

(١)الأرك (Alarcos): هو حصن منيع بمقربة من قلعه رباح أول حصون أذفونش بالأندلس وهناك كانت وقعة الأرك على صاحب قشتاله وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن بن على ملك المغرب في سنة ٥٩١هـ /١١٩٤م. (الحميري، ١٩٨٨، ص١٢-١٣).

عامًا والتي انتصر فيها الموحدين انتصارًا كبيرًا، مما دفعنا هذا إلي التساؤل حول هذا التغير الكبير بين القوة الأيبيرية والقوة الموحدية في فترةٍ وجيزةٍ والتي كان له التأثير البالغ في انتصار الأيبيريين علي الموحدين وتتابع سقوط الولايات الإسلامية الأندلسية بأيديهم (عمران، ١٩٩٨، ص٢١٢).

أولًا: الأوضاع في الأندلس قبل موقعة العقاب:

أنشأت عدة دولٍ كثيرةٍ في أقطار المغرب الإسلامي منذ عصر الفتوحات، حيث استمر الوجود الإسلامي في الأندلس ثمانية قرونٍ والتي تم فتحها عام٩٢هـ /٧١٠م إلى غاية سقوط غرناطة واستسلامها سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، وخلال هذه القرون كان ملوك النصارى الإسبان يكنون البغض والكره للمسلمين و ينتظرون الفرصة المناسبة لتوجيه ضرباتٍ إليهم واسترداد أراضيهم وطردهم من الأندلس نهائيًا. (العبادي، د.ت، ص٢٩٥).

اتخذت حركة الاسترداد النصراني من شمال أيبيريا مركزًا للإغارة على الولايات الأندلسية الإسلامية، لكن قوة الحكم الإسلامي كانت لهذه الحركة بالمرصاد إلى أن تم انهيار الدولة الأموية بالأندلس ،فأصبحت البلاد تعانى من الاضطراب والضعف وتمثل هذا الضعف في ظهور دويلات ملوك الطوائف الصغيرة المتنافسة والتي انغمست في حياة اللهو و الترف، وكان أمراء الطوائف يدفعون الأموال لملك قشتالة وليون، وغيرها من الممالك النصرانية ذهبًا وفضًا وغيرها من المعادن، إضافةً إلى الهدايا الثمينة التي يحاولون بها التقرب إليهم ، وكان من الأفضل أن تصرف هذه الأموال على تسليح الجيوش و محاربة النصارى، وسرعان ما سقطت طليطلة والمدن القريبة منها، ولم يكتف الفونسو السادس Alfonso VI)) بالجزية التي فرضها المسلمين، بل أرسل جيشًا كثيفًا لأشبيلية، فانتشر الذعر بين أهلها، و لولا شجاعة أميرها ابن عباد ما استطاع إنقاذها من السقوط. (محمد النيفر- علي النيفر، ١٩٩٦، ص١٨٩؛ سالم، ١٩٩٧، ص ١١٩، ١٨٨ ؛ ابن الآبار، ١٩٩٨، ص٣٧ ؛ النشار ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٥؛ مؤنس،٢٠٠٤، ص١٩٥).

شهدت البلاد فترةً من الاستقرار بعد نجدة المرابطين لها وسيطرتهم على بعض الأقاليم بعد انتصارهم على النصارى في الزلاقة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)، فبقيت الأندلس تحت سيطرة ابن تاشفين(٤٦٤-٥٠٠هـ/١٠٧١-١١٠٦م) وأولاده من بعده، لكن سرعان ما انغمس أمراء الدولة المرابطية في اللهو والترف بعد وفاة ابن تاشفين، تاركين للنصارى محاولة إعادة سيطرتهم على الجزيرة من جديد ، ولم تلبث دولة المرابطين حيزاً من الزمن حتى سقطت. (مجهول، ١٩٧٨، ص١٤٠؛؛ دوزي، ١٩٩٥، ص١٣٧-١٥٠ ؛ النشار ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،ص٣٤-٣٥؛المراكشي، ٢٠٠٦م، ص١٣٥).

أسست الدولة الموحدية على أساسٍ ديني شعاره " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"، وكونت دولةً إسلاميةً واحدةً من بلاد المغرب وبلاد الأندلس تكون عاصمتها مراكش، وفي ذلك الوقت كانت الأندلس تصارع العديد من الجبهات والحروب، فأقبلت الوفود الأندلسية على علي بن عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ /١١٢٩-١١٦٢م) تدعوه إلى الأندلس وتستنصره، ومن هذه الوفود: وفد أشبيلية وقد استجاب لهذه الدعوة واستطاع بعد عدة معاركً أن يضم الأندلس إلى دولة الموحدين بعد قتال أنصار المرابطين وانتصر عليهم سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م، فضم مرسيه وغرناطة وقرطبة وما بقى للمسلمين في شبه الجزيرة، وكانت حدودها تمر شمال الوادي الكبير وتبدأ في الغرب عند لشبونة وتنتهى في الشرق عند مرسيه، وقد وضع نظامًا للدفاع عن الأندلس جعل عاصمته قرطبة، وأقام على قواعد الأندلس ولاةً من رجال بيته. (أبورميله،

١٩٨٤، ص٥؛المقديشي ،١٩٨٨،ص٤٦٣- ٤٦٥؛ مؤنس،٢٠٠٠،ص٤٣٧-٤٤٠؛ المراكشي ،٢٠٠٦،ص١٤٠-١٤٧ ؛حتامله، ٢٠١٠م، ص١٢٣).

تولى أبو يعقوب بن عبد المؤمن الحكم(٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) بعد وفاة الخليفة علي بن عبد المؤمن حيث وجه حملةً عسكريةً إلى الأندلس لمحاربة ابن مردنيش[٢] وقواته بعد أن رفض الولاء للموحدين، وكان يستعين بالنصارى على المسلمين في مرسيه ، وانتصرت عليه في معركة " عروة باسم " سنة٥٦٠هـ/١١٦٤م، ولكن بعد فترةٍ ظهرت عدوانية ملك البرتغال الذى استقل بقشتاله فأخذ يحاول الاستيلاء علي بعض الأراضي الأندلسية، ولكن الخليفة يعقوب استطاع التصدي لهذه المحاولات قرب طلبيرة من القشتاليين وملكهم الفونسو الثامن ((Alfonso VIII، ليعبر الخليفة أبو يعقوب بجيشه مدينة شنترين شمال شرق لشبونة وبعد ما فتحها أصيب فيها وتوفى متأثرًا بجراحه. (ابن صاحب الصلاة، ١٩٦٤، ص٣٩٩-٤٠٠؛ المقد يشي، ١٩٨٨، ص٤٦٥-٤٦٦ ؛ابن خلدون ،٢٠٠٠، ص ٣٢٤-٣٢٥؛ عنان، ٢٠٠٠، ص١٧٥-١٧٧).

تولى أبو يوسف اليعقوب الذى لقب "بالمنصور" (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٩م) حكم دولة الموحدين بعد وفاة أبيه، حيث جهز جيشًا واتجه للأندلس لاستعادة قصر أبى دانس [٣] جنوب شرق لشبونة ثم مدينة شلب، وعاد بعدها إلى أشبيليه يشرف على تنظيماتٍ الأندلس العسكرية، وحقق الخليفة الموحدى أبو يعقوب المنصور نصرًا كبيرًا على الإسبان في موقعة الأرك عام ٥٩١هـ/١١٩٢م ،ثم دخل قلعة رباح ونزل على مدينة طليطلة وتوغل في بلاد الروم ،فأرسل إليه حاكم قشتاله يطلب المهادنة فهادنه إلى عشر سنين وعاد إلى مراكش سنة ٥٩٤هـ/١١٩٦م،وكانت هذه الهدنة كافيةً للنصارى لتحصين قلاعهم وعقد تحالفاتٍ مع ممالك نافارا وأراغون النصرانية بضغط من البابوية وخاصة بعد أن أوشكت أهم مدينتين في الأندلس على السقوط في أيدى المسلمين، لذلك دعت البابوية إلى حرب صليبية على غرار الحروب الصليبية في مصر والشام (المقد يشي، ١٩٨٨، ص٤٦٧ ؛المقري ،١٩٨٨،ص ٤٤٣ ؛ شبارو، ٢٠٠٢، ص٢٦٧).

ثانياً: مراحل موقعة العقاب:

تولى الناصر الحكم(٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) بعد وفاة والده، حيث انشغل في القضاء على الفتن والثورات الداخلية، فاستغل ملك قشتاله الملك الفونسو الثامن ذلك فبدأ في تحصين بلاده الواقعة على الحدود الإسلامية عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، وذلك من خلال استعداداته للانتقام من المسلمين بسبب الهزيمة التي لحقت بالجيوش النصرانية في موقعة الأرك على أيدى المسلمين، انتهز الملك الفونسو الثامن تغيير الأوضاع السياسية في الأندلس وتوحيد صفوف الإسبان الداخلية وعودة التفاهم بعد الانقسام بينهم والتي كانت سببًا رئيسيًا في هزيمتهم في موقعة الأرك ،فعقد هدنةً مع ملك نافارا في سنة٦٠٤هـ/١٢٠٧م لمدة خمسة أعوامٍ، ثم تدخل ملك قشتاله بين ملك نافارا وملك أراغون، فعقدت بينهما الهدنة، وذلك في

(٢) ابن مردنيش: هو زياد بن مدافع بن يوسف بن مردنيش الجذامي مكنى بأبي جميل، أمير وثائر أندلسي دانت له بلنسية ودانيه، أخرجه الروم منها فاحتل مرسيه، لكن أهلها ثاروا عليه وقتلوه. (الزركلي، ٢٠٠٢، ص٥٦).

(٣)قصر أبى دانس(Alacaccr de sol): بغربي الأندلس، فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم في سنة أربع عشرة وستمائة، وأعانهم أهل الأشبونة وغيرها من مملكة ابن الرنق، فأخذوا في نقب الأرض تحت الحصن إلى أن أفضوا إلى السور، وأفضى الناس إلى الهلكة، وبلغ الأمر إلى الولاة الذين في غرب الأندلس: أشبيليه وقرطبة وجيان فتجهزوا لدفاع العدو، وجاء منهم جيش عظيم لكنهم تخاذلوا على عادتهم، فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين، ووقع القتل والأسر ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارسًا، ورأى أهل الحصن ذلك فأيقنوا بالتغلب عليهم. (الحميري، ١٩٧٥، ص٧٢٨).

سنة٦٠٦هـ/١٢٠٩م وانضمت البرتغال مع هذا التحالف ، و بذلك انعقد التفاهم بين جميع الممالك الإسبانية النصرانية ما عدا مملكة ليون واتفق الجميع على قتال المسلمين.(اشباخ، ١٩٩٧، ج٢، ص١٠٥، ١٠٧؛ المراكشي ،١٩٩٩،ج٢،ص ١٤٨؛شبارو ، ٢٠٠٢، ص٢٦٧).

شعر الملك الفونسو ملك قشتاله بنوعٍ من الأمل بعد عقد هذه المعاهدات مع الممالك النصرانية، ولذلك نقض الهدنة بينه وبين الموحدين، فبدأ بغاراته على بعض الممالك الإسلامية مثل جيان وبياسه، واستمر في التقدم حتي وصل إلى مرسيه، ولم يبال باعتراض رسل الخليفة الموحدى على نقض الهدنة بينهما. ونتيجة لغارات الفونسو المخربة فقد اقتدى ملك أراغون بملك قشتاله، فاستولى على عدة حصونٍ في منطقة بلنسية، وكان لهذه الغارات صدى عميقًا في المغرب حيث لم تستطع هذه الحاميات الموحدية الصغيرة التصدي لجيوش النصارى، فاستغاثت بالناصر الذى أرسل رسالةً إلى الفونسو يحتج فيها على نقض الهدنة، ولكن الفونسو لم يهتم بذلك وأصر على تنفيذ العدوانية، فغضب الناصر وأرسل إلى الشيخ محمد بن حفص والى إفريقية يستشيره في الغزوة، وكان رأى والى إفريقية عدم خوض الحرب في هذه الفترة وذلك لأن الجيوش الموحدية غير قادرةٍ على الجهاد جراء الحروب التي خاضها الموحدون للقضاء على الثورات والفتن الداخلية، ولكن الناصر لم يأخذ برأي الشيخ ابن حفص وبدأ في إرسال الرسائل إلى أمراء بلاد إفريقية والمغرب يحثهم على غزو أراضي النصارى فقدمت عليه الجيوش تسارع إليه من كل مكان. (ابن أبي زرع ، ١٩٧٢، ص ٢٣٣؛ اشباخ ،١٩٩٧، ج٢،ص١٠٧؛ سعدون، ١٩٩٨م، ص٣٣٨-٣٣٩؛المراكشي، ١٩٩٩، ج٢، ص١٤٧ ؛ ابن خلدون ،٢٠٠٠،ج٦، ص٣٣٥؛ عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين، ص٢٨٨).

استقر الناصر بجيوشه في مدينة أشبيلية سنة ٦٠٨هـ /١٢١١م فأمر بتدريب الجيوش فيها, ثم اتجه إلى غزو قشتاله ولكن وزيره أبا سعيد بن جامع [٤] أقنعه بالاتجاه إلى قلعة شلبطرة [٥] للاستيلاء عليها ,نظراً لمناعتها ولموقعها المهم في قلب الإسلام بالإضافة أنها جناحٌ مهمٌ للدولة النصرانية, ضرب الناصر الحصار على طول القلعة ورموها بالحجارة الضخمة حتى اضطر النصارى إلى تسليم القلعة بعد أن عجز الملك الفونسو الثامن عن إمدادهم، كان سقوط شلبطرة وهى مركز فرسان قلعة رباح في أيدى الموحدين نذيراً جديداً بتفاقم الخطر على إسبانيا النصرانية، مما جعلت ملك قشتاله يبذل أقصى جهوده لمقاتلة الموحدين، فهو لم يقتصر على حلفائه من ملوك إسبانيا النصرانية بل امتدت إلى ملوك أوروبا حيث سعى لدى البابا ليصبغ الصبغة الصليبية على محاربته للمسلمين، واستجاب البابا لرغبته، ولذلك تحرك الرهبان والقساوسة ليثيروا حماسة الشعوب النصرانية، ولم تلبث هذه القوى الصليبية وأكثرها من الإيطاليين والفرنسين أن أخذت تنهال على إسبانيا، لقد بلغت عدد الجيوش الوافدة على قشتاله أكثر من عشرة آلافٍ فارسٍ وخمسين ألف من الرجالة وتلقى ملك قشتاله أيضًا مبالغًا من الأموال والسلاح والمؤن أرسلت إليه من فرنسا وإيطاليا، أنذر البابا ملوك إسبانيا بتوقيع عقوبة الحرمان الكنسي [٦] على كل أميرًا يتأخر عن المساعدة، كذلك أمر البابا بالصوم لنصرة الجيوش المسيحية على المسلمين، وإقامة الصلوات وارتداء

(٤) ابن سعيد ابن جامع: أبو سعيد عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع وزير الأكبر عهد الخليفة محمد الناصر، وأجداده من الأندلس وكان الموحدون يشكون من صدق نيته، استبد ابن سعيد بالوزارة والحجابة. (ابن عذارى، ٢٠١٣، قسم خاص بالموحدين، ص٢٢٨-٢٢٩؛ الناصري، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٣١).

(٥) شلبطرة (Salvatierra): من حصون بلاد الأندلس، أعماق قلعه الرباح. (الحميري، ١٩٧٥، ص٣٤٤).

(٦)الحرمان الكنسي: إجراء تتخذه الكنسية النصرانية وينطوي على درجات مختلفة من استبعاد عضوية المعاقب به من جماعة المؤمنين بسبب الإصرار على الانتهاكات الجسمية بحق الأخلاق أو المذهب المعترف به، وظهر في القرن ال١٥. (Frappel,1873.p 175).

رجال الدين السواد وسيمنح البابا صكوك الغفران لمن يذهب معهم إلى الحرب. (ابن أبى زرع،، ص١٥٥ ، ٢٣٤؛ الحميري، ١٩٧٥، ص٥٣٣ ؛ أبورميلة،١٩٨٤، ص٢٨٢؛ كربخال، ١٩٨٤م، ص٣٧٠، ٣٧٢؛ اشباخ، ١٩٩٧م، ج٢، ص ١٠٨-١١٠؛ المراكشي ، ١٩٩٩،ج٢،ص ١٤٨-١٤٩؛ عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين، ص٢٩٢-٢٩٣ ؛طقوش، ٢٠٠٨م، ص٥٥١ ٢٨٣ ؛العبادي، د.ت، ص١٠٦؛ ابن عذارى، قسم خاص بالموحدين ، ص٣٧٤-٣٧٦).

في يوم ١٧ من محرم ٦٠٩هـ /٢٠يونيه سنة ١٢١٢م تجمعت قوى النصارى وانطلقت من طليطلة قاصدة إلى الجنوب حيث قسم ملك قشتالة جيشه إلى ثلاثة جيوشٍ، فالجيش الأول هو جيش الطليعة ويتألف من الجيش القادم من أوروبا ويقوده القائد القشتالي ديجولوبيث دى هارو، والجيش الثاني يقوده بيدرو الثاني(Pedro II) ملك أراغون ويتكون من قوات قطلونية وأراغون ،أما عن جيش المؤخرة فهو أكبر الجيوش ويتكون من قوات قشتالة وليون والبرتغال وفرسان قلعة رباح ويقوده ملك قشتالة الفونسو الثامن، واصلت الجيوش النصرانية السير إلى قلعة رباح ، ولكن واجهتهم مشكلة نقص المؤن وحرارة الجو التي أخذت ترهقهم، لذلك بدأ حماسهم يخبو وفكر الكثير منهم في العودة إلى الوطن ،ولكن ملك قشتاله استطاع إقناعهم بضرورة الاستيلاء علي القلعة التي بها حاميةٍ صغيرةٍ من الموحدين بقيادة أبي الحجاج يوسف بن قادس الأندلسي الذى كان قد عينه الخليفة المنصور عقب موقعة الأرك. (ابن أبى زرع، ١٩٧٢ ، ص٢١٩؛ اشباخ، ١٩٩٧، ص١١٢- ١١٣؛ المراكشي ،١٩٩٩،ص ١٤٩؛ عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين ، ص٢٩٥؛ عمر راكه ،٢٠١٠-٢٠١١م ؛ص ١٠٦).

عبر النصارى نهر وادى يانة بصعوبةً، فلما عبروا النهر طوقوا القلعة في الحال، إذ كانت تتميز بمناعتها الطبيعية، وتفاهم ابن قادس الأندلسي مع الفونسو على تسليم القلعة ومنح الأمان لحمايتها، وكان ابن قادس قبل تسليمها يبعث رسائل إلى أمير المؤمنين الناصر يستنجد به فكان الوزير ابن جامع إذا وصلت إليه كتب ابن قادس أخفاها عن الناصر، وطالت مدة الحصار علي ابن قادس، ونفذ ما كان معه من مؤن وسلاح، فاضطر إلي تسليم الحصن للنصارى وخرج ومن معه من المسلمين آمنين، بعد افتتاح قلعة رباح غادرت معظم الطوائف الوافدة المعسكر القشتالي بعد شقاقٍ بينهم وبين القشتاليين، وكان عددهم حوالى خمسين ألف مقاتل عائدين إلى بلادهم، ومن أسباب الخلاف أن ملك قشتاله خالف أهداف الحرب الصليبية بتركه لحامية المسلمين أحياءً، بالإضافة إلى جو إسبانيا الحار والإشاعة التي تفيد أن ملك قشتاله قد استأثر لنفسه بالتحف والذخائر التي كانت بالقلعة. (كربخال، ١٩٨٤ ،ج١، ص٣٧٢؛ اشباخ، ١٩٩٧، ج٢، ص١١٣-١١٤؛الناصري ،١٩٩٧،ج٢،ص٢٢٢؛ عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين ، ص٢٩٦-٢٩٧).

سار يوسف بن قادس برجاله إلى الخليفة الناصر ليشرح له سبب تسليمه قلعة رباح للنصارى، لكن أبا سعيد بن جامع وزير الخليفة سجنه وحرض الخليفة على قتله لخيانته وتسليمه القلعة للنصارى، فأعدمه الخليفة هو وصهره دون أن يستمع إليه، وكان أبا زرع محق في قوله عندما قال "أن أبا سعيد بن جامع لم يكن شريف النسب في الموحدين، فلما ولى حجابة المنصور ووزرائه أخذ يقهر أعيان الموحدين ويهين أهل الشرق منهم"، وبعد استيلاء النصارى على قلعة رباح، مروا على قلعة شلبطرة فلم يحاولوا الاستيلاء عليها، وعبروا مرتفعات جبال الشارات (سيرا مورينا)، واحتلت البسيط العلوى المقفر المسمى ممر مورا

دال [٧]، وفى يوم العاشر من صفر٦٠٩هـ/ ١٣ من يوليه ١٢١٢م استطاع النصارى أن ينتزعوا قلعة كسترو فيرال الإسلامية الواقعة في قمة الجبل، وهى التي تسمى أحيانًا بحصن العقاب، واستمروا في سيرهم، ولكنهم ضلوا الطريق، ووجدوا أنفسهم في طريق ضيقٍ ووعرٍ فدب فيهم الفزع فتوقعوا هجومًا من الموحدين، وتمكن أحد رعاة المكان من إرشادهم إلى الطريق الذي بمجرد أن ساروا فيه وصلوا إلي سهل أبده فاتخذوه معسكرًا لهم. (ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص٢٣٨ ؛هشام أبو رميلة،١٩٨٤، ص٢٨٨-٢٨٩ ؛ أشباخ،١٩٩٧، ج٢، ص١١٥-١١٦).

سار الخليفة الناصر بجيشه للقاء النصارى، وكان الجيش الموحدى يتكون من خمسة أقسامٍ: يضم القسم الأول طوائف العرب والقسم الثاني القبائل المغربية مثل صنهاجة وزناتة والمصامدة وغماره والثالث الجنود المتطوعة والرابع الجند النظامي من الموحدين والخامس من الجنود الأندلسيين، أما عن أعداد الجيش الموحدى فقد ذكر ابن زرع أن أعداد المتطوعين بلغت مائة وستين ألف بين فارسٍ ومحاربٍ، و بلغ عدد الرجال المحشودين ثلاثمائة ألف رجلٍ، بينما كان عدد العبيد الذين يمشون بالحراب بين يدى الخليفة ثلاثين ألف عبدٍ، وكان عدد الرماة عشرة آلاف محاربٍ.(ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص٢٣٤؛؛ أبو رميله ،١٩٨٤، ص ٢٨٩؛اشباخ ، ١٩٩٧ ،ج٢،ص ١٠٨؛ الناصري ، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٢٠ ؛ شبارو، ٢٠٠٢ص٢٦٧).

أحداث موقعة العقاب:

تسببت موقعة العقاب في إضعاف الدولة الموحدية وكان لها أثرًا كبيرًا في سقوطها ، حيث شهدت هذه المرحلة استعداد كل طرف لخوض الموقعة فكان الجيش النصراني مقسمًا إلى ثلاثة أقسامٍ رئيسيةٍ يتزعم كل قسم منها ملكٌ من ملوك النصارى الثلاثة، الأول يتكون من القلب ويقوده ملك قشتاله الفونسو الثامن وكان القائد الأعلى للقوات النصرانية ويتكون الثاني من الجناح الأيمن ويقوده سانشوSancho)) ملك نافارا والثالث ويتكون من الجناح الأيسر الذى يقوده بيدرو الثاني ملك أراغون ، أما التنظيمات الخاصة بالموحدين فقد ذكرت في روض القرطاس أنها قسمت إلى خمس فرق تتألف القوات الأمامية من القوات المتطوعة، وتتألف قوات القلب والقوات الاحتياطية من الجند الموحدين وتتألف الميمنة من قوات الأندلس والميسرة من قوات البربر من مختلف القبائل.(ابن أبى زرع ، ١٩٧٢ص٢٣٤ ؛ كربخال، ١٩٨٤ ،ج١ ،ص٣٧١ ؛ اشباخ ،١٩٩٧، ج٢، ص١١٧-١١٨؛ المراكشي ، ١٩٩٩، ج٢، ص١٤٩ ؛ طقوش، ٢٠٠٨م، ص٥٥٣).

بدأت المعركة في الصباح من يوم الاثنين الخامس عشر من صفر٦٠٩هـ/ السادس عشر من يوليه ١٢١٢م، حيث التقى المسلمون والنصارى في إحدى الوديان الفسيحة (NAVAS) عند السفح الجنوبي لجبل الشارات(SIERRA MORENA) في مكان يسمى (NAVAS DE TOLOSA) أي وديان تولوسا، بدأ الجيش النصراني بالهجوم حيث هبط من المرتفع الذى احتله إلى السهل الذى يشغله الجيش الموحدى، حيث اشتبك الفريقان، ووقف النصارى على مقدمة الجيش الموحدى فلقيهم جند المتطوعة من الموحدين ،ولكنهم ثبتوا بعد تعزيزهم من الفرسان النصارى، وفى نفس الوقت هجم الجيش النصراني على جناحي الجيش الموحدى ودرات بين الجيشيين موقعةً عظيمةً ولكن المسلمين ارتدوا تحت ضغط

(٧) مورا دال(MUROD): هو أهم ممرات جبال الشارات والطريق الصاعد إليه، كان طريقا عرضيًا، يبلغ عرضه نحو العشرة أمتا، وهذا الممر يحتل فوق قمة جبل الشارات مساحه كبيره منبسطة، ثم ينزل من الناحتين صاعدًا أو هابطًا. (عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين، ص٣٠٤).

النصارى ، حيث كثر فيهم القتل، استطاع قلب الجيش الموحدى أن يرد جيش النصارى، ومن جهة أخرى، فإن قوات الميمنة والميسرة الموحدية استطاعت أن ترد جناحي الجيش النصراني حتى أنهم لاذوا بالفرار، ولذلك أيقن الموحدون أن النصر حليفهم بعد فرار النصارى. (ابن أبي زرع ، ١٩٧٢، ص٢٣٦؛ اشباخ ، ١٩٩٧، ج٢، ص ١١٢؛ المراكشي، ١٩٩٩، ج٢، ص١٤٩، ٢٠٠٦، ص٢٣٦؛ عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين، ص٣١١ ؛ البستاني، ٢٠١٣م، ص٦٣).

رأى ملك قشتاله تراجع القوات النصرانية من فوق المرتفع، فنزل إلى الميدان بقواته الاحتياطية من قوات قشتاله وليون ومعه ملكا أراغون ونافارا وهجموا في وقت واحد ،فبدأت ميمنة وميسرة الجيش الموحدى في الارتداد ، وفر الأندلسيون والعرب، وتركز هجوم النصارى على قلب الجيش الموحدى والذى تتوسطه قبة الخليفة الحمراء، وشدد النصارى الهجوم أكثر على الموحدين حتى أن الخليفة الناصر أدرك حقيقه الموقف، فنهض عن مجلسه يشجع جنوده على القتال والصمود، وتذكر الروايات الإسلامية ثبات الناصر في الوقت الذى تناثر فيه الجيش الموحدى، والحرس الخليفي إلى أشلاء دامية، حتى كاد الجيش النصراني أن يصل إليه، واضطر في آخر لحظة أن يمتطى فرسه وأن يفر جنوبًا إلى بياسه ثم إلى جيان، واستمر الفرسان النصارى في مطاردة فلول الجيش الموحدى حتى دخل الليل. (ابن أبى زرع، ١٩٧٢، ص٢٣٩ ؛ أبو رميلة، ١٩٨٤، ص ٢٩٠-٢٩١؛ اشباخ، ١٩٩٧، ج٢، ص١١٩؛ عنان،٢٠٠٠، عصر الموحدين، ص٣١٣ ؛ مؤنس ٢٠٠٤ ، ص١٢٧؛ المراكشي، ٢٠٠٦ ، ص٢٣٦ ؛ البستاني، ٢٠١٣، ص٦٣ ؛ ابن عذارى، ٢٠١٣، قسم خاص بالموحدين، ص٣٧٧).

تختلف الروايات الإسلامية والنصرانية حول خسائر المسلمين في موقعة العقاب ،فنجد أن هناك رواياتٌ إسلاميةٌ تذكر أعداد لا يقبلها العقل مثل ما ذكر صاحب القرطاس" أنه لم ينج من الجيش الموحدى إلا الواحد من الألف"، والسبب الذى جعله يقول ذلك وهو أن ملك قشتاله أمر أن ينادى في جيشه بأن لا أسر إلا القتل ومن يأتي بأسير قتل هو وأسيره، أما الروايات الإسلامية التي نجدها تذكر حقائق يقبلها العقل مثل المراكشي حيث ذكر " أنه قتل من الموحدين خلق كثير" ، " وهلك في هذه الموقعة حملة من الأعيان والطلبة" وهذا ما ذكره صاحب الروض المعطار في كتابه، بينما وصفها صاحب كتاب الحلل الموشية بأنها " الهزيمة العظمي التي فنى فيها أهل المغرب والأندلس"، أما الروايات النصرانية فقد بالغت في عدد خسائر الموحدين حيث ذكرت أن قتلى المسلمين يقدر بمائتي ألف، وذلك من مجموع الجيوش الموحدية التي يقدرها بمائة وخمسة وثمانين ألف فارسٍ وعدد لا يحصى من المشاة. (ابن أبى زرع، ١٩٧٢، ص٢٣٩-٢٤٠ ؛ الحميري،١٩٧٥، ص٦٤١ ؛ مؤلف مجهول، ١٩٧٨، ص١٦١؛ اشباح، ١٩٩٧، ج٢، ص١٢٢؛ المراكشي، ٢٠٠٦، ص٢٣٥).

بالغت بعض الروايات النصرانية في انتصار النصارى، حيث ذكرت أنه لم يقتل في الموقعة من النصارى سوى خمسة وعشرين، وذكر الملك الفونسو في خطابه إلى البابا أنه لم يتجاوز الثلاثين، فالرواية النصرانية ذكرت هذه الأرقام الضئيلة لتحاول أن تضفي المعجزة على النصر الذى أحرزه النصارى، فالحقيقة أن خسائر النصارى كانت كثيره أيضًا لأنهم لم يستطيعوا أن يخترقوا الجيش الموحدى إلا بعد أن ألقوا بقواتهم الاحتياطية ،وقدم الراهب ألبريكوس الذي عاش قريبا من هذه الأحداث تفسيرًا منطقيًا عن الأعداد القليلة التي ذكرتها الرواية النصرانية عن خسائر النصارى ،فيقول أنه قد هلك في الموقعة من المسلمين مائة ألف ،ولكن هلك في نفس الوقت من النصارى خلال اشتباكهم مع المسلمين عدد كبير ،بيد أنه لم يهلك منهم أثناء مطاردة المسلمين سوى نحو ثلاثين (عنان ،٢٠٠٠، ص٣١٥-٣١٦).

أما عن الغنائم فقد ظفر النصارى من المسلمين السلاح والخيام والأقمشة الفخمة وألوفًا من دواب الحمل وخيمة الناصر الحريرية الموشاة بالذهب، واستولى ملك نافارا على السلاسل الحديدية التي كانت تحيط بقبة الخليفة، ومن أهم الغنائم أيضاً علمُ موحديُ ضخمُ مازال يحفظ حتى اليوم بين ذخائر إسبانيا النصرانية في مدينة برغش بالدير الملكي، وأجمعت كل الروايات الإسلامية والنصرانية على أن موقعة العقاب أذهبت قوات المسلمين والموحدين في الأندلس والمغرب واعتبروها موقعةً فاصلةً في تاريخ المغرب والأندلس . (الحميرى، ١٩٧٥، ص٦٤١ ؛ مؤلف مجهول، ١٩٧٨، ص١٢٢؛أبورميله، ١٩٨٤، ص٢٩١ ؛اشباح، ١٩٩٧، ج٢، ص١٢٢؛ عنان، ٢٠٠٠، (الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال)، ص٢١٣-٢١٤ ؛ المراكشي، ٢٠٠٦، ص٢٣٦ ؛

(Miranda, Huici, p.266-267.231-303 .

نتائج موقعة العقاب بالنسبة للدولة الموحدية في المغرب و بالنسبة للنصارى:

كانت موقعة العقاب وبالاً على المسلمين عامةً والموحدين في المغرب والأندلس بصفة خاصةً، إذ شكلت تحولًا كبيرًا في تاريخ دولة الموحدين، حيث يذكر المؤرخون أنها كانت السبب في موت السلطان الناصر, فبعد الهزيمة القاسية للدولة الموحدية في موقعة العقاب، بدأت يظهر عليها مظاهر الضعف ,بعد أن كانت قوةً سياسيةً عظمى تقود الأندلس والمغرب ,وتغيرت الأوضاع بعد هذه الهزيمة التي كانت لها جزءًا كبيرًا من النتائج على الساحتين المغربية والأندلسية

نتائج هزيمة المسلمين فى موقعة العقاب بالنسبة للمغرب

أولًا الجانب السياسي : أثرت موقعة العقاب على الدولة الموحدية في المغرب تأثيرًا كبيرًا في كافة الجوانب، حيث ضعفت الدولة الموحدية بعد معركة حصن العقاب، وخاصة بعد وفاة الناصر عام ٦١٠هـ/١٢١٣م، فتولى بعده خلفاء ضعفاء مثل الخليفة المستنصر بالله(٦١٠-٦٢٠هـ/ ١٢١٣-١٢٢٣م)، وقد شهدت البلاد في عهده الكثير من الثورات والفتن. (ابن أبي زرع ،١٩٧٢، ص٢٤١ ؛ الحميري ،١٩٧٥، ص٦٤١ ؛ مجهول ،١٩٧٨، ص ١٦١؛ عنان, ٢٠٠٠, عصر الموحدين، ص٣٢٥؛ ابن عذاري، ٢٠١٣، قسم خاص بالموحدين، ص٣٧٩- ٣٨٠).

بعد وفاة المستنصر بالله سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م, بدأ شيوخ الموحدين يسيطرون على الحكم ويحكمون وفقًا لمصالحهم الشخصية ,فرفعوا من شاءوا وقتلوا من أرادوا وهذا واضحُ في قتل الخليفة عبدالواحد بن يوسف بن عبد المؤمن(٦٢٠-٦٢١هـ/١٢٢٣-١٢٢٤م), بعد توليته الحكم بثمانية أشهرٍ، و تولى بعده أبو محمد عبدالله بن يعقوب المنصور المعروف "بالعادل (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م)، لتظهر نيةُ الأشياخ والدسائس لبعضهم البعض من أجل الحكم ،لدرجة أن أصبح الصراع بين أبناء القبيلة الواحدة مثل أبناء حفص الهنتاني [٨] فأصبح كل منهم يفعل كل ما بوسعه لإبعاد الآخر عن الحكم، وبدأت البلاد تسير في طور

[٨] الصراع الذى كان بين أبناء حفص الهنتاني :بدأ عند رفض أبي محمد عبد الله الواحد الحفصي والي إفريقية مبايعة المأمون لقتله العادل ،فأراد المأمون أن ينتقم منه فأغر أخاه أبا زكريا بن عبدالواحد بولاية إفريقية إذا استطاع البيعة له فيها ،وكان نتيجة ذلك أن حدثت مواجهة بين ابي زكريا وأبي محمد انتهت باستيلاء ابر زكريا علي إفريقية وحبسه لأبي محمد فترة من الوقت . الشماع،١٩٨٤، ص٥٨.

الفساد الإداري واستبداد الولاة بأقاليمهم ومحاولة السادة من بني عبد المؤمن الاستقلال بولايتهم مثل ما فعل أبوزيد البياسي[٩] في بلنسية عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م، ولكن العادل تمكن من تثبيت خلافته حتي قتل عام٦٢٤ هـ/١٢٢٦م. (ابن أبى زرع ,١٩٧٢, ص٢٤٢ ؛ مجهول، ١٩٧٨، ص١٦٣).

أما أهل الأندلس فقد بايعوا بالخلافة أبا العلاء إدريس الأول الملقب "المأمون" [١٠] سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، وبايع أهل المغرب الأقصى بمراكش يحيي بن الناصر الملقب" بالمعتصم" [١١] (٦٢٤-٦٣٣هـ/١٢٢٦-١٢٣٦م) ودار الصراع بينهما على الخلافة بعد وفاة العادل، فاستغل النصارى تدهور أحوال الدولة الموحدية، فسيطروا على عدة حصونٍ ومدنٍ أندلسيةٍ، واندلعت في الأندلس الكثير من الثورات، فثار ابن هود [١٢] على الموحدين سنة ٦٢٥هـ/١١٢٨م وسمى نفسه بالمتوكل على الله، فانفصل بشرق الأندلس، ودارت بينه وبين المأمون موقعة جزيرة طرينه [١٣] سنة٦٢٦هـ/١٢٢٩م، حيث هزم المأمون وفر إلى المغرب، ودانت كل بلاد الأندلس لابن هود، وطرد أهل قرطبة وأشبيليه الموحدين وبايعوا ابن هود، انفصل أبو جميل ابن زيان مردنيش عن بنى هود ببلنسية، وطرد الأمير الموحدى في عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وانفصل محمد بن يوسف ابن الأحمر[١٤] بأراغون واتسع نفوذه في الأندلس حتى سيطر على جنوب الأندلس.(أبوالفضل ،١٩٩٦،ص١٩٠-١٩٤؛ السامرائي، ٢٠٠٩، ج٤، ص٣٦٣؛ابن عذاري، ٢٠١٣، قسم خاص بالموحدين، ص٣٩١ ؛ العبادي، د.ت، ص٣١٩).

بدأت دولة الموحدين تفقد المغرب بعد أن فقدت السيطرة على الأندلس بسبب ضعف الأمراء، فظهر حكامُ جددُ أحكموا قبضتهم على أقاليم المغرب وأسسوا دويلات خاصةً بهم، فانهارت دولة الموحدين وتقاسمتها ثلاث ممالكُ بربريةٌ: أولها الحفصيين بقيادة أبى زكريا بن أبى محمد عبد الواحد الحفصي في إفريقية سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، الذى استقل عن الموحدين وضم إليه تونس وبجاية وقسنطينة، وثانيهما المغرب الأوسط استقل بها بنو عبد الواد بقيادة يغمراسن بن زيان عن الدولة الموحدية سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، ثالثهما قبيلة بنو مرين في المغرب الأقصى، حيث شقت عصا الطاعة عن الموحدين سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، وخاضت معارك طاحنةً وكانت الغلبةُ فيها للقائد المريني عبد الحق محيو[١٥]، بدأت الدولة الموحدية تسير

---

(٩) البياسى: هو أبو محمد عبدالله بن يوسف بن عبد المؤمن والى جيان الموحدى، استقل بمدينته بعد أن بويع بالأندلس العادل خليفة للموحدين، فدعا لنفسه وحكم قرطبة، فثار عليه أهلها وقتلوه لأنه افرط في الاستعانة بالنصارى. (عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين، ص٣٦١).

(١٠)أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور وكنيته أبو العلاء، كانت خلافته بمزاحمة يحي بن الناصر ،وكان صوته عذب في تلاوة القران ، وتوفى في مراكش في ذي الحجه ٦٢٩هـ/١٢٣٢م. (ابن أبي زرع ،١٩٧٢ ،ص٢٤٩؛ مجهول، ١٩٧٨، ص١٦٣).

(١١) المعتصم :هو يحيي بن الناصر ،أبى عبدالله محمد بن يعقوب المنصور بالله وكنيته أبو زكريا، كانت مدة خلافته تسع سنين، وكانت أحوال البلاد غير مستقرة، توفى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م. (ابن عذاري ،٢٠١٣، قسم خاص بالموحدين، ص٣٩١؛ مجهول، ١٩٧٨، ص ١٦٦).

(١٢) ابن هود: أبو عبدالله محمد بن يوسف بن هود الجذامي من سليل أسرة هود أصحاب مملكة سرقسطة في الشطر الأعلى، لمع اسمه في عام٦١٤هـ/١٢١٧م، جمع أصحابه وخرج بممر الحصن المعروف بالصخور، فدعا لنفسه. (ابن الخطيب، ١٩٨٤، ص٤٢٢ ؛ السامرائي، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٣٦٣).

(١٣) طرينه(Triana): حاضرة من حواضر أشبيليه، ينسب إليها الفقيه عبد العزيز الطرياني. (الحموي، ١٩٧٧، ج٤، ص٣٤).

(١٤) محمد بن يوسف بن الأحمر: بن النصر، ولد بأراغون سنة ٥٩١ه/١١٩٥م، كان جندياً وافرًا الجرأة يقود قومه إلى مواصلة النضال والجهاد لقب بابن الأحمر لشقره شعره. (ابن عذاري ،٢٠١٣ ،قسم خاص بالموحدين، ص٤١٧).

(١٥)عبد الحق محيو: أبو محمد عبد الحق محيو بن أبى بكر بن حمامه، تولى رئاسة بنى مرين بعد وفاة أبيه، ولعب دورًا كبيرًا في جمع قبائل بنى مرين. (ابن أبى زرع ، ١٩٧٧، ص٢٧٩ ؛ مؤلف مجهول، ١٩٧٨، ص١٧١.

نحو السقوط، ومما زاد في تسارع سقوطها عدم توافر شروط منصب الخلافة في بنى عبد المؤمن، فأصبحت عرضة لكل متطفل، وهذا يفسر وصول شخصياتٍ ضعيفةٍ إلى السلطة، الأمر الذى بدا على أنه من أهم أسباب انهيار الدولة، إذ اعتبر العامل الأساسي الأول في سقوط الدولة الموحدية. (ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص٢٨٨-٢٨٩ ؛ ابن الأحمر، ٢٠٠١، ص ٣،٧،٩).

ثانيًا الجانب الاقتصادي: أثرت هزيمة حصن العقاب وسياسة الفتن والحروب و نشوب الفوضى في انهيار اقتصاد الدولة الموحدية، حيث تعرضت التجارة الداخلية والخارجية إلى نكسةٍ عظيمةٍ، فتوقفت القوافل عن السير بسبب انعدام الأمن، وتراجعت الصناعة وفرضت مغارم على كل السلع الصادرة والواردة، وحدث شللُ بالنشاط الزراعي بسبب هجرة الفلاحين لأراضيهم ،نتيجة الأعمال التخريبية والفوضى التي أحدثتها الحروب الطاحنة، فأظهر ذلك مدى سوء الأحوال الاقتصادية بالدولة الموحدية، وبلغ من سوء الأحول الاقتصادية بعد موقعة العقاب فراغ خزينة الدولة الموحدية من الأموال لدرجة أن الخليفة المرتضي (٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م) لم يستطيع أن يدفع رواتب الجيش، وزادت معاناه الرعية من الضرائب الكثيرة اللازمة لتمويل الأعمال الحربية فأدي ذلك إلي اضمحلال الدولة الموحدية. (أبو رميلة، ١٩٨٤، ص ٣٨٢؛ النجار، ١٩٨٩م، ص٤٢ ؛ عبد الجبار،٢٠١٣-٢٠١٤م، ص ٦٥).

ثالثاً الجانب الاجتماعي: كانت العصبية المصمودية حجر الأساس للدولة الموحدية، حيث قاموا بتبني دعوة ابن تومرت وعملوا على نشرها، ولكنهم كانوا سببًا في انحلال الدولة وسقوطها بعد موقعة العقاب، وذلك حينما بدأت روح التضامن بين بطون المصامدة تتلاشي بعد أن شعر أغلبهم أنهم أدواتُ في يد الخلفاء لبسط نفوذهم وسيطرتهم لخدمة مصالح الخلفاء المتناقضة مع مصالحهم، ومن جهة أخرى أصبحت الدولة الموحدية غير قادرة على توفير الأمن لهم، .تعرضت التركيبة البشرية في المغرب الإسلامي إلى تغير خلال العهد الموحدي تسببت في الكثير من التمردات، فقد هاجرت القبائل المصمودية والصنهاجية من موطنها الأصلي تاركةً فراغًا كبيرًا، فحلت محلها العديد من القبائل التي هاجرت إليها، فأصبحت شكلت تهديداً لاستقرار الدولة وأمنها. (موسي، ١٩٨٣، ص٧٢-٧٤؛عبد الجبار، ٢٠١٣-٢٠١٤ ، ص١٤٤ ؛ الزركشي، د.ت، ص٦).

أكد أغلب المؤرخين أن هزيمة المسلمين في موقعة العقاب هي قاسمةُ لظهر الوجود الإسلامي في الأندلس والمغرب، وأنها نهاية البداية للمسلمين في الأندلس، فيذكر ابن عذاري "إن واقعة العقاب كانت السبب في هلاك الأندلس إلى الآن" أي عهده، وإيذانًا بتوقف العون المقدم من بلدان المغرب إلي الأندلس، وتنبيهًا لأهل الأندلس بضرورة وقف الزحف النصراني عن بلادهم فأصاب النصارى حالةً معنويةً يصفها ابن زرع عند ذكره لتولى المسلمين في الجيوش الأندلسية عند قصر أبي دانس قائلاً "لأن العدو كان قد تكالب وقوي واستأنس "، ونتج عن هذه الهزيمة عدة نتائجٍ للأندلس في مختلف الجوانب: (ابن أبى زرع ١٩٧٢،ص٢٤٢؛ أرسلان ، ١٩٨٣، ص٥٤-٥٦ ؛ مكي، ١٩٨٧، ص٢٦٥؛ ابن عذارى، ٢٠١٣، قسم خاص بالموحدين ، ص٣٧٧).

نتائج هزيمة المسلمين فى موقعة العقاب بالنسبة للأندلس

أولًا: الجانب السياسي: إن هزيمة العقاب وضعف الخلفاء الموحدين الذين تولوا أمور الدولة ساهمت في تحقيق المشروع الإسترادادي الذي راود النصارى منذ عقود من الزمن ، فأصبحت الفرصة مناسبة لتسديد الضربات لبقية المسلمين في الأندلس، حيث بادر ملك قشتالة "فرديناند الثالث" Fernando III

بغرو الأراضي الإسلامية مستغلًا الفراغ الذي تركته السلطة الموحدية، فالنصيب الأكبر من أراضي المسلمين في الأندلس ظفر بها ملك أراغون "خيام الأول" Jaim el primero [١٦]،حيث زحف إلى الجزائر الشرقية سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ثم إلي ميورقة٦٢٧هـ/١٢٣٠م، وفى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٤م تمكن من غزو قرطبة وسائر المدن والحصون القريبة منها، ثم وجه عنايته بعد ذلك إلى أكبر قواعد المسلمين بالشرق وهى بلنسية فاستطاع الاستيلاء على المدن والحصون القريبة منها، فسقطت المدينة سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م بعد هزيمةٍ ساحقةٍ تعرض لها جيوش المسلمين فيها.(كربخال، ١٩٨٤، ج١، ص٣٧٨-٣٧٩؛ المقري، ١٩٨٨، ج٤، ص٤٥٥-٤٥٦ ؛ اشباح ،١٩٩٧،ص١٥٥-١٥٦؛ ابن الابار، ١٩٩٨، ج١، ص٣٣٢-٣٦؛ ابن خلدون ،٢٠٠٠،ج٦،ص ٤٣٢؛عبد الجبار، ٢٠١٣-٢٠١٤، ص ١٣٦-١٣٧).

تابع خيام بقية المشروع الاسترادادى فاستولي على دانية وشقر[١٧] ومدينة البيضاء [١٨] سنة٦٤١هـ/١٢٤٦م، وبعدها استولى على شاطبة وأريولة [١٩] سنة٦٤٤هـ/١٢٤٦م، في حين تأهب فرديناند لضم إشبيلية، واستطاع ضمها بمساعدة ومعونة ابن الأحمر رغم المقاومة الشديدة التي بدأها سكان المدينة حتى اضطروا إلى تسليمها عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، واستطاع بسط نفوذه على بقية القواعد الغربية بضم شريش ولبلة، وانكمشت رقعة الدولة الإسلامية بسرعة، أما غرب البرتغال كشلب وطلبيرة وغيرها ،فقد استطاع الملك الفونسو الثالث Alfonso III [٢٠] من الاستيلاء على القواعد الإسلامية الغربية لمملكة البرتغال في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ، واستطاع خيام خلال ثلاثين سنةً أن يفرض سيطرته علي بقية الثغور الإسلامية شرق الأندلس. (اشباخ، ١٩٩٧، ج٢، ص١٨٤-١٩٨؛ ابن الآبار، ١٩٩٨، ج١، ص٢٥، ٣٩ ؛ عنان، ٢٠٠٠ ، ج٣، ص٤٩٢-٤٩٣).

انهارت دولة الإسلام في الأندلس وأفضل تصور لهذه الأوضاع التي آلت إليها الأندلس في ظل التنافس النصراني للحصول على أراضي المسلمين ما وصفه الشاعر أبو البقاء صالح الرندي[٢١] في قوله: (المقري، ١٩٣٩، ص٤٧ ، ١٩٨٨، ج٤، ص٤٨٦؛ مكي، دراسات أندلسية،١٩٨٧؛ ص٣١٧).

---

(١٦) خايم الأول: ملك أراغون سنة ١٢١٤م، بعد أن ورث العرش عن أبيه بيدرو وعمره لا يتجاوز سبع سنوات، عرف بنشر عدائه للمسلمين ودوره الكبير في تحريك عجلة حروب الاسترداد نحو القواعد الإسلامية الشرقية. (اشباخ، ١٩٧٧، ج٢، ص١٦٧).

(١٧) شقر(Jùcar): في شرقي الأندلس، وهي أنزه بلاد الله وأكثرهًا روضة وشجرًا وماء، وكان الأديب أبوعبدالله محمد بن عائشة الأندلسي كثيرًا ما يقيم بها، وله في ذكرها شعرًا. (الحموي، ١٩٧٧ ، ج٣، ص٣٥٤).

(١٨) البيضاء(Albaida): هي أكبر مدن اصطخر من أرض فارس، لها حصن وربض عامر، وسميت البيضاء لأن قلعتها بيضاء يرى بياضها من بعد، وهي في الكبر تضاهي اصطخر، ولها حروث متسعة وخصب زائد، وأهلها زيهم زي العراقيين في اللباس والعمائم. (الحميري، ١٩٧٥، ص١٩٣).

(١٩) أريولة (Orihuela): مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية تدمير، بساتينها متصلة ببساتين مرسيه ؛منها خلف بن سليمان بن خلف بن محمد ابن فتحون الأوريولي، وكان فقهياً أديباً شاعراً. (الحموي، ١٩٧٧، ج١، ص٢٨٠).

(٢٠) الفونسو الثالث: ملك البرتغال بعد أخيه شانسو الثاني الذى دخل في صراع مرير من أجل العرش البرتغالي ويعود له الفضل في توسع مملكة البرتغال على حساب القواعد الإسلامية الغربية. (اشباخ، ١٩٧٧، ج٢، ص٢١٥-٢١٦).

(٢١) أبو البقاء صالح الرندي: شاعر من أهل الأندلس له قصائد يرثى فيها حال الأندلس

لكل شيء إذا ما تم نقصان — فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول — من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على — ولا يدوم على حالٍ لها شان

. (بالنثيا، د.ت، ص١٣٢).

وبذلك صارت كل المدن الأندلسية في قبضة النصارى، ولم يبق لمسلمي الأندلس إلا إمارة غرناطة حيث تأسست فيها دولة بني الأحمر، والتي سقطت بعد قرنين سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. (إيرفنغ، ٢٠٠٠، ص٤١٠).

ثانيًا :الجانب الاقتصادي: شهدت موقعة العقاب خرابًا اقتصاديًا في بلاد المغرب الإسلامي، وكان سبب هذا الخراب الاقتصادي تفكك الدولة الموحدية إلى ثلاث دويلاتٍ ،كل دولةٍ لها مجالها الاقتصادي الخاص بها، فسقوط القواعد الإسلامية الأندلسية تحت وطأة النصارى أفقد المغرب الإسلامي أهم حلقاته الاقتصادية، ففي أواخر القرن السادس الهجري- الثاني عشر الميلادي تطورت الطرق البحرية في الممالك النصرانية فأعطى دعمًا لنموٍ سريعٍ في موانئ أوروبا الجنوبية وللتجار فيها، فبدأت طرق جديدة في الظهور بين إيطاليا وشمالي إفريقيا، وكان من نتائجها في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي أن أصبحت جنوة وغيرها من المدن نقطة توزيع البضائع القادمة من شرق العالم الإسلامي إلى غربه ومن أسواق شمال البحر المتوسط إلى جنوبه محل ثغور الأندلس. (أبورميلة،١٩٨٤، ص٣٨١ ؛ بوشامة، ١٩٩١ ، ص٢٩٠-٣٩١؛ الناصري، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٠٤-٢٠٥).

ثالثًا :الجانب الاجتماعي: ساهم ضعف الدولة الموحدية وسقوط قواعدها الإسلامية الأندلسية أمام حركات الاسترداد النصرانية في هجرة أعدادٍ كبيرةٍ من المسلمين فارين بدينهم وأنفسهم وأموالهم من الاضطهاد النصراني نحو غرناطة والتي بلغ أعداد المهاجرين فيها نحو ستمائة ألف، وبذلك العدد أصبحت تمثل أضخم التجمعات السكانية في ذلك الوقت، فاتجهوا نحو المغرب التي كانت بالنسبة إليهم الملاذ الآمن في ذلك الوقت، ولم يكن الاضطهاد النصراني مقتصرًا على المسلمين، بل شمل أيضًا اليهود الذين هاجروا إلي المغرب الذين اتخذوا مكانة هامة داخل المجتمع المغربي وذلك على أثر سقوط الدولة الموحدية. (عبد الجبار، ٢٠١٣-٢٠١٤، ص ١٧٨).

الجانب الفكري: صاحب هزيمة العقاب تدني الدولة الموحدية في الحياة الفكرية، وظهر ذلك واضحًا في ضعف الحس التأليفي الذى اقتصر على المختصرات والحواشي والشروح، الذى اعتبره ابن خلدون والمقري أنه سبباً في فساد العلم في ذلك الوقت، ومن المآسي الحضارية في ذلك الوقت الهجرة الجماعية للعلماء من الأندلس والمغرب إلى مناطق أكثر أمنًا وعلى رأسهم ابن الآبار ورفقائه، أما من جاء منهم إلى المغرب فلم يتيسر له البقاء فيها فواصل سيره نحو إفريقية كابن عميرة، وذلك كنتيجةٍ لسقوط القواعد الإسلامية الأندلسية في أيدى النصارى، وأن سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس لا يعني مجال انتهاء الأثر الحضاري الذي ظل مستمرًا في الآثار الباقية والعديد من المؤثرات الحضارية في المجتمع التي استمرت باقية إلي الآن. (موسي، ١٩٨٣، ص ٢٦٢؛ السائح، ١٩٨٦، ص٢٦٩-٢٧٠).

أسباب هزيمة الموحدين في موقعة العقاب:

لم تكن هزيمة الموحدين في الأندلس هزيمةً عابرةً بل كانت أكبر هزيمة للمسلمين؛ وذلك لكثرة خسائر المسلمين في هذه المعركة وتراجع السيادة الإسلامية على المدن الأندلسية وسيطرة النصارى عليها، ولهذه الهزيمة عدة أسبابُ منها أن الجنود الموحدين كانوا ساخطين على الوزراء بسبب حبس أعطيتهم وتأخرها، وهكذا أُخرج الجنود وهم كارهون للغزو بالإضافة أن رؤساء المقاتلين سواء كانوا من الموحدين أو الأندلسيين لم يدر في خلدهم أن هزيمتهم في هذه الموقعة سوف تنهى الوجود الإسلامي في الأندلس، فاندفعوا وراء مصالحهم الشخصية، في الوقت الذى كانت فيه صناعة السلاح قد تقدمت في إسبانيا

النصرانية نتيجة للاتصال الوثيق بينها وبين بلاد غرب أوروبا، ومن هنا دارت على المسلمين هزيمةً قاسمةً، واستشهد فيها أعدادًا كبيرة من المسلمين .(مكي، ١٩٨٧، ص٢٦٥؛ النيفر، ١٩٩٦، ص٢٢؛ ابن الآبار، ١٩٩٨،ج١،ص٢٠-٢١ ؛ عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين ، ص٣١٨؛ المراكشي،٢٠٠٦، ص٢٢٥-٢٢٦).

أجمعت رواياتُ عديدةُ على أن أهم الأسباب في هزيمة المسلمين في موقعة العقاب هو الخليفة محمد الناصر سواء أكانت شخصيته واعتداده برأيه أو اعتماده على شخصيات من بطانة السوء كابن جامع أو الإجراءات التي قام بها من بداية سير الجيش الموحدى وحتى انهزامه ،حيث تذكر بعض الروايات أن هزيمة المسلمين في موقعة العقاب عقوبة الله للناصر على ما أبداه من اعتزازٍ بجموعه وتفوقه العددي وتقليله من شأن عدوه واعتقاده أنه لا غالب له من الناس، فأراه أن النصر والقدرة والقوة بيده فقط، واعتداده برأيه وإغفاله لنصائح الشيخ عبد الواحد بن حفص بعدم التوجه إلى الأندلس للقتال، وذلك لأن الجيوش غير قادرة على الجهاد من جراء المجهود الذي قامت به في استئصال ثوره بنى غانية، وكان من الجدير الإنصات إليه وخاصة أن الناصر كان صغير السن في ذلك الوقت. (؛ابن أبى زرع، ١٩٧٢، ص٢٤٠ ؛ اشباخ ، ١٩٩٧ ،ج٢، ص١٢١؛ المراكشي، ١٩٩٩، ج٢، ص١٤٨).

أما الإجراءات التي اتخذها الناصر من بداية سير الجيش الموحدي أولها: أنه اختار محمد عبدالواحد بن أبى حفص لحكم القسم الشرقي من إمبراطورية الموحدين، وهو من خيرة الموحدين فأدى ذلك الإجراء إلى تقسيم الدولة إلى دولتين، لأن عبد الواحد لم يلبث أن أسس في هذا القسم دولة قائمة بذاتها، ثانيها: إطالة الناصر في حصار شلبطرة لمدة تصل إلى ثمانية أشهر, حيث دخل بلاد الأندلس في شهر مايو ,واستمر الحصار حتي دخول الشتاء , فهو بذلك يعتبر من الأخطاء العسكرية القاتلة التي أدت إلى إصابة آلاف من المسلمين من برد جبال الأندلس, ونفاذ الأقوات والأعلاف من المسلمين المحاصرين مما أضعف عزائمهم واستكمل النصارى استعداداتهم, واستطاعوا أن يجلبوا أعدادًا كبيرةً من أوروبا لمساعدتهم في هذه الموقعة, ولكن الناصر لم يستغل انسحاب أعدادٍ كبيرةٍ من الأوروبيين من جيش ألفونسو قبل خوض الموقعة احتجاجاً على العهود التي عقدها ألفونسو مع المدن الأندلسية التي استردوها من المسلمين.(ابن أبي زرع ،١٩٧٢،ص ٢٣٧؛ محمد النيفر ،١٩٩٦، ص٢١ ؛ اشباخ، ١٩٩٧، ج٢، ص١١٤،١٠٨ ؛ الناصري, ١٩٩٧, ج٢ ,ص٢٢١ -٢٢٢؛ابن الآبار، ١٩٩٨، ج١ ،ص٢٠).

ذكرت بعض الروايات أن من أبشع الأخطاء التي ارتكبها الناصر قتله لابن قادس وصهره بتهمة تسليم قلعة رباح للنصارى مقابل الأمان للمسلمين، دون أن يستقبله أو يستمع إلى عذره، فابن قادس لم يجد لديه حلا آخر وذلك حفاظًا علي أرواح المسلمين وخاصةً بعد تأخر الإمدادات التي كان قد أرسل في طلبها من الخليفة الناصر فأدى ذلك إلي كره الجنود الأندلسيين للناصر فقد شعروا أنهم أقل مكانةٍ من الموحدين، فبالرغم من قلة أعدادهم في الجيش الموحدى إلا أنهم كانوا عنصرًا هامًا، لأنهم أكثر خبرة بطريقة قتال النصارى، ومع ذلك فالناصر لم يستفيد منهم مثلما استفاد الخليفة المنصور من مشورة ابن صناديد الأندلسي [٢٢] التي كانت سببًا في انتصاره في موقعة الأرك، وفى ذلك يقول المقري في نفح الطيب "وهذه الوقعة –

(٢٢) مشورة ابن صناديد الأندلسي :عقد المنصور مجلسًا من كبار قواده ،ليتفق وإياهم علي الطرق التي ينبغي اتباعها ،فأحب المنصور أن يستفاد من آراء القواد الأندلسيين لأنهم أدري بمكائد الإسبان وبأساليبهم القتالية ،فأشار عليه أبا عبدالله بن صناديد لما عرف عنه من صدق النظر، فأشار عليه بتوحيد القتال وخطة القتال و أن يعهد في قيادة العساكر الأندلسية إلي رؤسائهم ؛لأنهم لا يتحمسون إلي الحرب إذا أقيم عليهم قواد غرباء ،وأن تكون القوات النظامية في المقدمة ،والقوات النظامية احتياطًيًا للنجدة ،وأن ينزل الخليفة بحرسه الأبيض والأسود وراء التلال القريبة ،فإذا تراوح الفريقان غار النصر

العقاب – هي الطامة علي الأندلس بل والمغرب جميعاً، وما ذاك إلا لسوء التدبير، فإن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخف بهم الناصر ووزيره، فشنق بعضهم، ففسدت النيات، فكان ذلك من نجاة الإفرنج، والله غالب على أمره، ولم تقم بعدها – أي بعد موقعة العقاب للمسلمين قائمة تحمد". (ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص٢٢٥-٢٢٧، ٢٣٨ ؛ المقري، ١٩٨٨، ج٤، ص٣٨٣ ؛ اشباخ، ١٩٩٧، ج٢، ص١١٥؛ الناصري، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣).

اعتمد الناصر على بطانة السوء المتمثلة في وزيره ابن جامع، فهو الذى أشار علي الناصر بقتل ابن قادس وحجب عنه الكتاب الذى أرسله إلى الناصر طالباً النجدة منه، وأرشد الناصر إلي إطالة الحصار على شلبطرة حتى تسلم حاميته، ونظراً لقلة تجربته وصغر سنه واستبداده بالرأي فقد رفض رأي شيوخ الموحدين المحنكين بأن يعدل عن حصار هذا الحصن لصعوبة اقتحامه، فابن جامع أيضاً أهان القواد الأندلسيين وأنذرهم بمغادرة الجيش وميز الجنود المغاربة عنهم، فأدي ذلك إلى تثبيط همتهم في القتال، فأفعال ابن جامع أظهرت مدى ضعف سلطان دولة الموحدين وجعلت الكثير منهم يشك في إخلاصه للدولة الموحدية. (ابن أبى زرع، ١٩٧٢، ص٢٣٧- ٢٣٨ ؛ أبورميلة، ١٩٨٤، ص٢٨٨ ؛الناصرى، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣ ؛ عنان، ٢٠٠٠، عصر الموحدين، ص٣١٨).

لم يضع الناصر خطةً لم يسرِ فيها على نهج السابقين، فقد جعل المتطوعين في مقدمة الجيش وجعل الجيش النظامي من خلفهم، والأندلسيين في ميمنة الجيش، فعلي الرغم من أن المتطوعين متحمسين للقتال بصورةٍ كبيرة إلا أنهم ليست لديهم الدراية الكافية بقتال مقدمة جيش النصارى وهم من أجود مقاتلي النصارى، واخترق النصارى فرقة المتطوعين ووصلوا إلي قلب الجيش الموحدى الذين استطاعوا صد الهجوم، لكن معنويات المسلمين قد هبطت ،نتيجة لقتل الآلاف منهم، وارتفعت معنويات جيش النصارى، فاستغل ألفونسو ذلك فأطلق قوات المدد المدربة لمساعدة مقدمة الجيش، وبالفعل كان لها أثرًا كبيرًا، وعادت من جديد الكرة للنصارى، ولكن بفرار ميمنة المسلمين الأندلسيين من أرض الموقعة بعد أن رأوا استشهاد الآلاف من المسلمين وخاصة انهم كانوا يقاتلون وهم مرغمين مع الموحدين، فالتف النصارى بعد هروب ميمنة المسلمين على جيش المسلمين، وبدأت الهلكة فيهم، وفر الناصر من أرض الموقعة ومعه فلول الجيش المنهزم، وقد قال الناصر وهو يفر: صدق الرحمن وكذب الشيطان، حيث دخل الموقعة وهو يعلم أنه منصورُ بعدده، فعلم أن هذا من إلقاء الشيطان وكذبه. (ابن أبى زرع، ١٩٧٢، ص ٢٣٩ ؛ اشباخ، ١٩٩٧، ج٢، ص١١٨-١١٩، ص٢٢٤؛ البستاني، ٢٠١٣، ص ٦٤).

الخاتمة:

بعد الانتصار الباهر الذي حققه الموحدون على صليبي الأندلس في موقعة الأرك عام ٥٩١هـ/١١٩٥م، لجأ الصليبيون إلي الهدنة انتظارًا للفرصة المناسبة، وكان الفونسو يتوق إلي الانتقام لهزيمته، فلما اشتعلت ثورة بني غانية، فانشغل الناصر عنهم بقمع الثورة، فقرر ألفونسو استغلال ذلك، فبدأ بإزالة الخلافات العميقة بين الممالك الإسبانية النصرانية الثلاثة (قشتالة – ليون – أراغون)، وطلب المساعدة والمباركة من بابا روما، وانضم إليه ألوفٌ من المتطوعين قادمين من أوروبا، ولكن نتيجة لاعتماد الناصر على بطانة السوء المتمثلة في ابن جامع ومخالفة آراء بعض الشخصيات الحكيمة كابن حفص هزم

فاجأ العدو بهجوم صاعق فيقضي عليه ،فأمر المنصور قواد الجيش باتباع هذه الآراء .(الناصري ،١٩٩٧،ج٢،ص١٨٨-١٩١؛البستاني ،٢٠١٣،ص٥٢-٥٣).

الموحدين في معركة العقاب التي كانت قاسمةٍ لظهر الوجود الإسلامي في الأندلس، وبدأت الدولة الموحدية في الاضمحلال والسقوط ونتيجة لذلك بدأ النصارى في استرداد القواعد الإسلامية الأندلسية والمسلمين في الأندلس يستنجدون بإخوانهم في المغرب ولكن لا مجير لهم، ولم يمض النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي حتي أخذ الإسلام يتقلص عن الأندلس وخيم على الأندلس شبح النهاية المحتومة للدولة الإسلامية.

قائمة المراجع:

المراجع العربية

• ابن الآبار، (١٩٩٨) الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، ط٢ ، القاهرة- مصر، دار المعارف.

•ابن أبى زرع، (١٩٧٢ م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط - المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة.

- (١٩٧٢)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق: عبدالوهاب بن المنصور، الرباط - المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة.

•ابن الأحمر، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق: هاني سلامة، ط١، بورسعيد- مصر، مكتبة الثقافة الدينية.

•أبورميلة، هشام، (١٩٨٤)، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية في الأندلس، ط١، دار الفرقان.

•أبوالفضل ،محمد أحمد (١٩٩٦) ،شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥-٦٨٦هـ /١١٢١-١٢٨٧م)دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ،الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية .

•أرسلان، شكيب، (١٩٨٣)، خلاصة تاريخ الأندلس، بيروت- لبنان، دار مكتبة الحياة.

•اشباخ، يوسف،(١٤١٧هـ /١٩٩٧م)، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.

•إيرفنغ، واشنطن، (٢٠٠٠)، أخبار سقوط غرناطة، ط١، تحقيق: هلاني يحيي نصري، بيروت- لبنان، مؤسسة الانتشار العربي لندن.

• بالنثيا، أنجل جنثالث، (د.ت)، تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق: حسين مؤنس، بيروت، مكتبة الثقافة الدينية.

•البستاني، بطرس، (٢٠١٣م)، معارك العرب في الأندلس، القاهرة- مصر، مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة.

• بوشامة، عاشور، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (٩٨١- ٦٢٦ هـ/١٢٨٨-١٥٧٣م)، رسالة ماجستير غير منشور، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، مصر.

• حتاملة، محمد عبده، (٢٠١٠م)، مدخل لدراسة الأندلس، عمان، الجامعة الأردنية.

•ابن الخطيب، (١٩٨٤)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، القاهرة- مصر، مكتبة الخانجي.

•ابن خلدون، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، بيروت- لبنان ، دار الفكر للطباعة.

• الحموي، ياقوت، (١٩٧٧)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر.

• الحميري، عبد المنعم، (١٩٧٥)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت, مكتبة لبنان.

• دوزي، رينهرت ،(١٩٩٥)، المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة - مصر، الهيئة المصرية للكتاب.

• راكة، عمر، (١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م)، علاقة الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة بوبكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

• الزركشي،(د . ت), تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق :محمد ما ضور، ط٢،تونس ، المكتبة العتيقة.

• السائح، الحسن، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، الحضارة الإسلامية في المغرب ، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء.

• سالم، السيد عبد العزيز، (١٩٩٧)، قرطبة في حاضرة الخلافة الإسلامية، الإسكندرية- مصر، مؤسسة شباب الجامعة.

• السامرائي، إبراهيم خليل، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م)، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، ط١، دار المدار الثقافية للطباعة والنشر.

• ابن الشماع ،(١٩٨٤)،الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ،تحقيق :الطاهر بن محمد بن المعموري ،طرابلس، الدار العربية للكتاب.

• سعدون، نصر، (١٩٩٨م)، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط١،بيروت، دار النهضة العربية.

• شبارو، عصام، (٢٠٠٢)، الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود، ط١، بيروت- لبنان، دار النهضة العربية.

• ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، (١٩٦٤)، المن بالإمامة تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادى التازي، ط١، بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي.

• طقوش، محمد سهيل (٢٠٠٨م)، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط٢، بيروت- لبنان، دار النفائس.

• العبادي، أحمد مختار، (د.ت)، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت- لبنان، دار النهضة العربية.

• عبد الجبار، صديقي، (١٤٣٤-١٤٣٥هـ/٢٠١٣-٢٠١٤م)، سقوط الدولة الموحدية (دراسة تحليليه في الأسباب والتداعيات)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان- الجزائر.

• ابن عذاري،(١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم خاص بالموحدين، تحقيق: بشار عواد معر، تونس وف- محمود بشار عواد, ط١, دار الغرب الإسلامي.

• عمران، محمود سعيد، (١٩٩٨)، حضارة أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية.

• عنان، محمد عبد الله، (٢٠٠٠)، دولة الإسلام في الأندلس، مصر، الهيئة العامة للكتاب.

• كربخال، مارمول، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، أفريقيا، تحقيق: محمد حجى وآخرون، الرباط - المغرب، مكتبة المعارف.

• مجهول، مؤلف (١٩٧٨)، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة.

• المراكشي، عبد الواحد، (١٩٩٩)، مقدمة كتاب وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط١، مكتبه الثقافة الدينية.

- (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس، اعتني به وشرحه: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية.

• المقد يشى، محمد بن سعيد (١٩٨٨)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: على الزواري -محمد محفوظ، ط١، بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي.

• المقري، شهاب الدين أحمد (١٩٣٩)، أزهار الرياض من أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا – إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي، القاهرة- مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- (١٩٨٨)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت - لبنان، دار صادر.

• مكي، الطاهر أحمد، (١٩٨٧)، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ط٣، القاهرة- مصر ، دار المعارف.

• موسي، عز الدين أحمد، (١٩٨٣)، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، ط١، بيروت- لبنان ، دار الشروق.

• مؤنس، حسين، (٢٠٠٤م)، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة- مصر، مكتبه الأسرة.

-(د.ت) ،موسوعة تاريخ الأندلس فكر وتاريخ وحضارة، ط ٢، مكتبه الثقافة الدينية.

• النجار، ليلى أحمد، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدى دراسة تاريخية (٥٨٠-٥٩٣هـ/١١٨٤-١١٩٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعه أم القري، مكة المكرمة.

• الناصري، السلاوي (١٩٩٧)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري - محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب.

المراجع الأجنبية

*Frappel, Monseigneu, (1873), Saint cypriem et l'eglise d'Afrique. bray et retaur libraires Editeur. Paris.

*Huici, Miranda(n.d) : La Reconquista De Alarcos a las Navas de Tolosa.

Battle of Las Navas de Tolosa and beginning of the end of theby (Islamic rule in Andalusia(609 AH /1212 CE)

Alwa Refaay Abd El Wahab
Master Degree – Department of History- college of Literature
Faculty of Women - Ain Shams University - Egypt
olaamr115 @yahoo.com

Prof.Dr. Ahmed Ibrahim El Shaarawy
Prof. of History and Islamic Civilization – History Department
Faculty of Women, Ain Shams University
Egypt

Prof. Dr. Afifi Mahmoud Ibrahim
Prof of History and Islamic Civilization – History Department
Faculty of Arts, Benha University - Egypt
afefy.m@fart.bu.edu.eg

Abstract

The historical battle of Las Navas de Tolosa in 609 AH / 1212 CE constituted a major decline in the authority of the Muslims in Andalusia, but what surprises any observer of history is that this battle separates it from the battle of Alarcos battle seventeen years, this battle which the Almohads won a great victory, this which prompted us to question this great change between the Iberian power And the Almohad power in a short period, which had a great influence in the victory of the Iberians over the Almohads, and continued the fall of the Andalusian Islamic cities in their hands, This great change in the Iberian power is represented in the exploitation of the Christian king Alfonso VIII of Castile the truce that he concluded with the Almohad king Al-Nasir, and the preoccupation of Al-Nasir in the fight against the Banu Ghaniyya to do several things, including: Eliminating the discord between the Spanish Christian kingdoms (Navarra - Aragon), which was the reason for their defeat in the Battle of the Alarcos, asking for help from the Pope of Rome, after which the crusaders began to descend upon Spain as like the locust, to become a crusade like the Crusade Egypt and the Al-Sham.

Keywords: Al-andalus - Las Navas de Tolosa - Alfonso VIII- Al-Nasir